تحليل نقدي لقصة (باتجاه الجنوب)

1. العنوان:

جميل، مركز، احتوى القصة بأكملها، فيه عدة استفهامات تُجيبك عنها القصة،ولعل أولها (عن أي جنوب تتحدث؟) يوحي ذلك بأنها رحلة إلى الجنوب، في حين أنه يقصد الاتجاه نفسه.

2. الاستهلال والبداية:

بدأ بداية رقيقة، بتشبيهات جميلة تأسرك لإكمال القراءة، حينما قال: (صوت المؤذن يلامس السماء.. يتمسح بها فيعود صوتًا قدسيًا يغسل الفجر) بداية ملأى بالطهر والصفاء تحثك أن تعيش هذه الأجواء.

3. الراوي:

السارد هو الكاتب نفسه (أنا)، وقد وُفِّق في إيصال مشاعره في براءة الأطفال وبر الكبار.

4. الزمان والمكان:

تميز النص بوحدتين للزمن، كلاهما دقائق معدودة، الأولى عند بزوغ الفجر ونحر البعير، ثم قفز بالزمن قفزة جميلة عدد من السنوات، حين كبر الطفل وشاخ الأب، ووصف الحدث في دقائق معدودة أيضًا حينما جلسا على عتبة الباب الجنوبي.

المكان في القصة كان واحدًا في كلا الزمنين، وهو عتبة الباب الجنوبي التي أطلق منها الكاتب قصته وختمها فيه، كما أنه أطلق فيها خيال القارئ ليرسم ملامح تلك العتبة في كلا الزمنين.

وفيه إشارة إلى أن أصول الأب من الجنوب، وأنه يعيش خارجها زمن القصة، حيث يخالجه الحنين إليها بين الحين والآخر، حتى عندما كبر وشاخ (يطلب أن أنظر باتجاه الجنوب).

5. الصراع:

(رفع خنجره.. عيناي مأخوذتان به، أشبه بهلال مئذنة.. هبط كشهاب راصد.. الدماء ملطخة ثوبي..) هذه عبارة توحي ببداية صراع، وجريمة في القصة، ولكنه يزيل عنك كل ذلك الشعور بجمال قوله: (يضحك أبي.. يمسح خنجره على رقبة البعير) منهيًا بذلك صراعًا لم يبدأ إلا في ذهن القارئ، وأرى أن هذا أحد أبرز جماليات النص المتعددة، إذ أنه يوجه ذهن القارئ -بكل حب- في كل مرة للخيال.

6. الحوار:

كان هادئًا وادعًا بسيطًا بين السارد وأبيه.

7. الشخصيات:

1- السارد حينما يتحدث عن نفسه طفلًا وادعًا صغيرًا يستكشف الحياة، ورجلًا كبيرًا بارًا بأبيه (يوضح ذلك العلاقة المتينة بينهما).
2- الأب، الرجل الكريم الذي يحب الضيوف، ويكرم جيرانه مع أول فجر يقضيه بينهم.
3- شخصية أبو نخلة، شخصية ثانوية.

8. اللغة:

بديعة، فيها تشبيهات وكنايات جميلة وراقية تغرس المعنى في نفس القارئ بعمق، ألفاظه سهلة تحبذ القراءة للجميع مفعمة بالأمل والكرم، محببة لذائقة القارئ، أبرزها في (هدوء الفجر، وتراتيل الأذان، وتسابيح أبي نخلة)، ثم تدرجت إلى القوة في لحظات نحر البعير وغسل عتبة المنزل، لتعود إلى الرقة في نهاية القصة حينما بدى بر السارد لأبيه.

وكان تأثير الثقافة الإسلامية بارزًا في النص في عدد من الكلمات (المؤذن، قدسيًا، التسبيح، الأذكار، هلال مئذنة، شهاب راصد، الصلاة).

9. الرسالة والمغزى:

في القصة رسائل كل منها أجمل من الأخرى:

1- وصفه لصوت الأذان الذي يغذي الروح مع كل فجر، وكونه باكورة يومه، فيه حث بديع غير مباشر للقارئ على صلاة الفجر والمداومة عليها جماعة، وحث لمن يتهاون في ذلك أن يغذي يومه بها مع كل صباح.
2- العلاقة المتينة بين الجيران، حين ذكر جمال تسابيح أبي نخلة، وكرم أبوه.
3- الكرم المتجذر عند أبيه الذي أكرم جيرانه مع بزوغ أول فجر له بينهم، كذلك برز هذا الكرم في قوله : (بابنا الجنوبي لا يلتئم) كناية جميلة عن كثرة الضيوف والزائرين الذين لم يدعوا لبابه وقتًا يلتئم فيه من كثرة مرورهم.

ومقولة أبيه الشهيرة: (من الجنوب يأتي الخير، يأتي الغيث والضيوف) دلالة كبيرة على كرم أبيه، حيث شبه قدوم الضيوف وحب أبيه لذلك تمامًا كحبه للمطر الذي ينشر البِشر ويغسل الأرواح والقيعان بقدومه.

4- علاقة السارد الجميلة بأبيه يوم أن كان طفلًا، وبعد أن كبر وصار رجلًا، وفيها حث راقٍ جدًا على البر بالآباء والتلطف لهم برز ذلك في عباراته: (أقوده إلى بساطه عند عتبة الباب.. أسكب له القهوة.. يسألني عن المارة..يطلب أن أنظر باتجاه الجنوب.. فأردد عليه "من الجنوب يأتي الخير.. يأتي الغيث والضيوف".

7. الحدث:

اعتمد السارد على تطور الحدث ببراعة وهدوء رغم الاحتلاف الزمني بين شقي القصة، بداية من صوت الأذان إلى تسابيح أبي نخلة، ثم الانتقال المفاجئ والسريع إلى نحر أبيه للبعير. لينتهي الزمن الأول للقصة عند قوله: (من الجنوب يأتي الخير.. يأتي الغيث والضيوف). ثم يبدأ الزمن الثاني للقصة يتسلسل أكثر رقة بذات العبارة وذات المكان بتطور هادئ للحدث وخاتمة رقيقة بنفس العبارة الرمزية للكرم: (من الجنوب يأتي الخير.. يأتي الغيث والضيوف).

8. النهاية:

كانت عميقة، جميلة، وفيها بر وكرم وحب عظيم. باختصار، في القصة كم كبير من الهدوء النفسي.

مريم عبدالله الهاجري

24 شعبان 1444هـ